مدرسة الإسكندرية

كيف فسر الآباء الأوائل للكنيسة الأسفار المقدسة

مركز الأبحاث بالمجلة

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السابع - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٧

كيف فسر الآباء الأوائل للكنيسة الأسفار المقدسة

إعداد: مركز الأبحاث بالمجلة

كيف فسر الآباء الأوائل للكنيسة الأسفار المقدسة*

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

مقدمة:

إنّ مصدر معرفتنا عن الله يأتي من خلال إعلانه الحي هو عن نفسه، ولا يمكننا أن نعرفه بمعزل عن إراداته، ولكن تبعًا للطريقة التي يختارها للإعلان عن ذاته. ويتمّ هذا الإعلان في سياق لاهوتيٍّ وتاريخيٍّ للشعب العابد لله، أي كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد. تلك الحقيقة التي من خلالها نجد أنّ كلاً من العهدين القديم والجديد مرتبطان معاً. وكلاهما مكتوبان بوحي الروح القدس، وبالعناية الإلهيّة سُلّموا لنا، ككلمة الله المكتوبة في الأسفار المقدّسة.

لذا ترجع الكنيسة دائمًا إلى الأسفار المقدّسة بوصفها المصدر المباشر والنموذج الواضح عن كل معرفة الله المعلنة وتدبيره الخلاصي الذي بدأ في العهد القديم واكتمل في تجسُّد ابنه الوحيد يسوع المسيح في العهد الجديد. لهذا فكل الصياغات العقيديّة للكنيسة وما يتشكّل عبرها من أُسُس كرازيّة وتعليميّة تأخذ إطارها من مادة الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس.

الكرازة بالإنجيل في وسط العالم الهلّليني:

نحتاج أن نتكلّم عن صدى خروج الإنجيل المسيحي من الوسط العبري وقد بدأت الكرازة في عالم ذي أفكار هلّلينية، وكيف تم فهمه وتفسيره. لنتذكّر أولاً السِمة المميّزة للوسط العبري، حيث فيه الكلمة والحدث، الكلمة والصورة، لا يمكن فصلهم الواحد عن الآخر، لأن الروحانيّة والماديّة مرتبطان معًا في خليقة الله. فإنّه في العالم المادّي والتاريخي تأتي كلمة الله إلينا وهي دائمًا فعّالة، حيث عالم المادة يتقدّس وينال مكانه الضروري في

* المرجع الرئيس لهذا المقال:
Thomas F. Torrance, Divine Meaning: *Studies in Patristic Hermeneutics, Early patristic Interpretation of The Holy scriptures*, T&T Clark, Edinburgh, 1995, pp.93-102.

الواقع، وقد بلغ إلى غايته واكتماله وذلك بتجسُّد الابن الكلمة في شخص ربنا يسوع المسيح، حيث فيه اتحدت الطبيعة الإلهيّة بالطبيعة البشريّة إلى الأبد. لذا، التجسُّد في النهاية يجعل عدم إمكانية الانفصال بين الكلمة والحدث، وما هو مسموع وما هو مرئي، الروحي والمادي. فكلُّ شيء قد وصل إلى كماله ومعناه وغايته النهائيّة بحياة وموت وقيامة المسيح ابن الله.

وحيث إنّ الإنجيل قد كُرِزَ به في عالم هلّليني ممتلىء بالأفكار الهلّلينية، وهذا العالم الهلّليني متأثر بفكرة الانقسام الجذري بين عالم المُثُل وعالم الأحداث، عالم روحي وعالم حسّي. وحيث إنّ عالم المُثُل هو، أساسًا، واقعي (حقيقي)، بينما عالم الأحداث هو، على الأرجح، شبه واقعي، ولكن فقط واقعي بقدر ما هو مشترك مع عالم المُثُل، بقدر ما هو عالم حسّي، فهو أقل من واقعي ولا يكوّن مادة أو موضوعًا للمعرفة بالمعنى الحقيقي. ولوجود عالم الأحداث داخل عالم المُثُل، ذلك العالم الواقعي، لذا تنظر الثقافة اليونانيّة الوثنيّة للإنجيل المسيحي كأنّه مادي ولا يمكن التفكير فيه. لذا فانطباع الفكر اليوناني الوثني عن حدث التجسُّد أنّه غير معقول.

أيضًا نجد عند اليونانيين الوثنيين أفكارًا عن ظهور آلهة بين البشر، ولكنهم يفهمونه على خليفة أسطوريّة، وعلى هذه الخلفيّة أيضًا يفهم اليونانيون الوثنيون، التجسُّد، وقد دحض هذه المزاعم مليتوس أسقف سادرس في عظته عن الألم.[1]

وهكذا كانت رسالة الكتاب المقدّس التاريخيّة والإسخاتولوجيّة تمثّل حجر عثرة بالنسبة للثقافة اليونانيّة، حيث يتحدّث الكتاب المقدس عن معرفة الله والخلاص الذي يعتمد على عمل الله الأبدي في الزمان، وما هو جوهري في التعليم العبري والمسيحي. ويبدو أنّ التفكير الوثني الهلّليني يعتبر ذلك أنه خيالي وغير واقعي. ويفهم الذهن الهلّليني الواقعيّة التاريخيّة للكرازة المسيحيّة فقط على خلفيّة أسطوريّة، وذلك من خلال التفكير التحليلي المتأثر بفكرة الانقسام الجذري بين ما هو محسوس وما هو عقلي.

[1] Meilto of Sardis, *Homily on Passion*, 174f.

والذهن الهيلينى المتأثر بالانقسام بين ما هو مادي وما هو روحي يمثل الأساس لكل الأفكار والمحاولات الغنوسيّة لفهم الإنجيل المسيحي.

ولنعرف كيف بدأت الكنيسة تُعالج هذه المشاكل التي واجهتها أثناء الكرازة بالإنجيل للعالم الهلّليني في القرون الأولى. نحتاج أن ندرس كيف فَهَم الآباء الأوائل الكتاب المُقدّس وفسّروه. وفي حديثنا هنا نكتفي بالكلام عن يوستين الشهيد وملیتوس أسقف سادرس والقديس إيريناؤس، في كيفيّة فهمهم وتفسيرهم للأسفار المُقدّسة.

رؤية يوستين الشهيد لفهم وتفسير الأسفار المقدسة:

يعتبر يوستين الشهيد (١٠٠م ـ ١٦٥م) من الآباء المدافعين في القرن الثاني، وقد ترك لنا اثنين من أشهر مؤلفاته، وهما: دفاعاه وكذلك حواره مع تريفو اليهودي. في الدفاع يبدو وكأنه فيلسوف، فقد اتّخذ من الفلسفة وسيلة للدفاع عن المسيحيّة والكرازة بالإنجيل للعالم ذي الثقافة والأفكار اليونانيّة، وليستطيع الذهن الأفلاطوني استيعاب الكلمة في الأسفار المُقدّسة حيث كرز يوستين باللّوغوس بوصفه ابن الله المُتجسّد.

ومع ذلك نجد أيضًا يوستين كلاهوتيٍّ كتابيٍّ مُلمًّا بالكتاب المُقدّس للكرازة بالإنجيل وذلك في حواره مع تريفو، الرابي اليهودي، مقدّمًا الفهم المسيحي للعهد القديم مشدّدًا على أهميّة العهد القديم، شارحًا أسباب وضرورة الاعتراف بألوهيّة السيّد المسيح، مؤكّدًا أن الأمم التي قد آمنت بالسيد المسيح وتبعت وصاياه هي بمثابة إسرائيل الجديد وشعب الله الحقيقي.[٢]

فقد جمع يوستين الشهيد بمهارة فائقة كلاً من الدورين؛ كلاهوتي كتابي وكفيلسوف، بمهارة وتوافق من دون أي ارتباك.

الأداة الرئيسة لفكر يوستين لم تكن المجازيّة، فهو لم يكن مثل فيلو، الفيلسوف اليهودي. لم ينشغل بالتقسيم $\chi\omega\rho\iota\sigma\mu\acute{o}\varsigma$ بين العالم الحسّي (المادي)

[٢] القديس يوستين والآباء المدافعون، سلسلة آباء الكنيسة، ترجمة وإعداد انطون فهمي جورج، كنيسة مارمرقس والبابا بطرس السكندري ١٩٩٢ ص ٣٨.

والعالم العقلي (الروحي)، كما هو واضح من إصراره على أنّ الإدراك يستمر حتى بعد الموت.[٣]

فما عمله يوستين كان يهدف إلى إيضاح أنّ اللوغوس هو كلمة الله الذي جاء ليولد بيننا في التاريخ حسب ما تكلم به الروح القدس، الناطق بالأنبياء، في الأسفار المقدسة.[٤]

اللّوغوس في فكر يوستين ليس كلمة مُجرّدة أو حديثًا، بل هو العقل الإلهي مُعبّرًا عن نفسه وفاعلاً فينا بوصفه كلمة الله الأزلي.

ففي مجيء الكلمة الإلهي، نرى عمل الروح القدس في نطاق الزمان حيث يشكّل سلسلة متقنة من الأحداث، موجهه بالعناية الإلهيّة، ليبلغ الأمر بتجسد الكلمة في شخص يسوع المسيح.[٥]

يقول يوستين: "نحن لا نؤمن بأساطير فارغة أو كلمات من دون برهان ولكن بكلمات مملوءة بالروح الإلهي وحاملة للقوّة ومزدهرة بالنعمة".[٦]

ἀλλὰ μεστοῖς πνεύματος Θείου καὶ δυνάμει βρύουσι και τεθηλόσι χάριτι

وهذه الكلمات التي للمخلّص، هي تملك في ذاتها قدرة مخوفة، حيث إنها تُسكِت الذين ينحرفون عن الطريق الصحيح، وهي أيضًا بمثابة راحة لذيذة للذين يدرسونها باجتهاد.[٧]

إنّ أحد السمات الخاصة للكلمة هي علاقته، من خلال الروح، بالحقائق التاريخيّة والأحداث. فإنه عندما نسمح للأسفار المُقدّسة أن تقودنا لهذه الأحداث، حيث عقولنا خاضعة تحت قوة حقيقتها، حينئذ نؤمن بها حيث إنها تحمل في ذاتها برهانها الخاص.

---

[3] *Apology*, 1.18-52.
[4] *Apology*, 1.6.
[5] *Apology*, 1.44.
[6] *Dialogue*, 9.1.
[7] *Dialogue*, 8.2

وبالطبع، ليس هذا كأي نوع من البرهان المنطقي، لكنه نوع من البرهان الذي ينشأ مباشرة من الحقائق والأحداث نفسها من خلال برهانها الذاتي. فيقول يوستين: "إنّ كلمة الحق حرّة، تحمل سلطانها، ومترفّعة عن المجادلات الماهرة، وباقية بالرغم من الفحص العقلي لسامعيها. لكنها تسير نحو غاياتها، وبسبب ثقة الذي أرسلها. وحيث إن كلمة الحق مُرسلة من الله، فمن ثمّ، الحرية المعلنة بواسطة الحق غير متعجرفة. لأنها (كلمة الحق) مُرسلة بسلطانٍ، فمن غير المناسب أن يُطلب إيجاد برهان لما يُقال، لأنه ليس هناك دليل بعده، الذي (الدليل) هو الله. لأنّ كل برهان هو أقوى وأصدق من الذي يثبّته، إذ أن ما لم يتمّ الإيمان به، حتى يأتي البرهان، يُصدّق عليه عندما يظهر هذا البرهان، ويصير ما كان يجب عليه أن يكون، لكن لا شيء أقوى وأصدق من الحقّ، حتى إن من يطلب برهانًا على ذلك كمن يريد توضيح سبب ظهور الأشياء التي تظهر في الوجود ... والله الآب خالق الكون، الذي هو المبدع الكامل وهو الحق. والكلمة الذي هو ابنه، وقد أتى إلينا، آخذًا جسدًا، مُعلِنًا عن نفسه وعن الأب، مُعطيًا إيانا، في نفسه، القيامة من الأموات والحياة الأبديّة فيما بعد. وهذا هو يسوع المسيح مخلصنا والرب".[٨]

كيفيّة فهم الأسفار المقدّسة بطريقة صحيحة:

وبما أنّ هذه هي كلمة الحقّ الإلهيّة التي نسمعها في الأسفار المُقدّسة، فنحن نحتاج إلى نقطتين من أجل فهم وتفسير صحيح *Right interpretation* للأسفار المقدّسة. النقطة الأولى، هي الاحتياج إلى نوال نعمة الفهم *χάριν τοῦ νοῆσαι*[٩] للأسفار المقدسة. فإنّه لو لم يتقبّل الإنسان نعمة الله العظيمة لفهم الأشياء المنطوقة في الأسفار المقدّسة، وكذلك الأشياء الحادثة بواسطة الأنبياء، فسوف لا يكون هناك فائدة له أن يتكلّم بالكلمات أو بالأحداث

[8] *De resurrectione*, 1.1f, from Ante-Nicene Christian library, vol.2, pp.341f.
[9] *Dialogue*, 119.1.

الموجودة في الأسفار المُقدّسة، إن لم يعمل حسابًا لضرورة تقبُّل نعمة الله للفهم.[١٠]

ويؤكّد يوستين أنه لم ينل شهادة دراسيّة مؤهِّله لفهم وتفسير الأسفار المُقدّسة، لكنه فهم الأسفار المقدسة بنعمة الله الممنوحة له، لهذا حصل على الفهم لها.[١١] لهذا فهو يُصلّي لتنفتح أبواب النور للآخرين، حيث إن هذه الكلمات والأحداث غير مفهومة وغير مُدركة للكلّ، لكن فقط لمن أعطاهم الله ومسيحه نعمة الفهم.[١٢] لم يضع يوستين في ذهنه أي ثقافة أو معرفة خفيّة، لكن الفهم هو ببساطة، استجابة للإيمان.

النقطة الثانية المطلوبة، هي ضرورة ارتباط أذهاننا بالحقائق والأحداث المُشار إليها والواضحة في الأسفار المُقدّسة. فبهذه الطريقة، نحن نسمح لأنفسنا أن ننسحب إلى محيط تلك الحقائق والأحداث ونكون خاضعين تحت قوّة برهانها. بمعنى آخر، يجب أن نضع أنفسنا في الوضع الذي يمكن فيه لشهادة الكتاب المُقدّس أن توجّهنا إلى تلك الكلمات والأحداث الواقعة خلفها، وهذا هو الوضع الوحيد حيث نستطيع أن ندركها في سياقها وحينئذ نكون مُلزَمين بالإيمان بها.

هناك نصّان ليوستين، من الحوار مع تريفو والدفاع الأول، وهما كافيان ليوضحا ذلك. في النصّ الأول، يتكلّم يوستين عن الأنبياء الذين تكلّموا بالروح الإلهي وتنبّأوا بالأحداث التي قد حدثت الآن، وعن ذلك يقول يوستين في حواره: "فكتاباتهم مازالت موجودة، ومن قد قرأها سوف يجد عونًا كثيرًا في معرفته لبداية ونهاية الأشياء، وكذلك الأمور التي ينشد الفلاسفة معرفتها، طالما يكون قد آمن بهم (كتابات الأنبياء) وبينما هم لم يستعملوا براهين ايضاحيّة في كتاباتهم، لكنهم كانوا شهودًا أمناءً جدًّا للحقّ فوق كل برهان؛ لأنّ الأحداث التي حدثت والتي تحدث، تلزمك بالإيمان بالعبارات

---

[10] *Dialogue*, 92.1.
[11] *Dialogue* 58.1.
[12] *Dialogue* 7.3.

المكتوبة بواسطتهم، وعلى أيّة حال، فهم قد صاروا جديرين بالإيمان (بكتاباتهم) وحتى لأجل المعجزات التي صنعوها، حيث إنهم مجّدوا اللّه الآب خالق كلّ الأشياء، وأعلنوا عن المسيح الذي أتى منه أنّه ابنه".[١٣]

في النص الثاني، كان يوستين مهتمًّا بأن يُظهِر المسيح بأنه ابن اللّه والإنسان، ليس بسبب أنه صانعٌ للمعجزات فحسب، بل أيضًا لأننا مقتنعون بالأحداث ذاتها والنبؤات التي تكلّمت عنها. يكتب يوستين في دفاعه: "إنّ براهيننا لا تستند إلى أقاويل بل إلى نبوءات نُطق بها قبل وقوع الحادث، ويتحتّم علينا الإيمان بها. لأننا رأينا ونرى الآن تحقيق ما تنبّأ به الأنبياء ونحن نأمل أن يبدو لك هذا البرهان قويًّا وحاسمًا".[١٤]

فمن خلال هذه النصوص يظهر واضحًا أن يوستين لا يأخذ برهانه من المعجزات المنفصلة عن إعلان اللّه عن نفسه وعن ابنه، لذا فالقوّة المُلزِمة للإيمان بالحقيقة هي في توافق الأحداث مع الكلمة.

وبالنسبة للإيمان المُلزِم الذي ينشأ فينا، إذ نرتبط بالأحداث نفسها، وفي ذلك الارتباط نكون نحن خاضعين تحت قوّة الحق في برهانه الذاتي بصورة مباشرة. وهذا لا يتمّ دون إدراكنا للترابط المعقول الداخلي للأشياء (الكلمة والأحداث)، أو بدون أن نكون قادرين على أن نُقدِّم بُعدًا عقليًّا لها. وهكذا نرى أن يوستين يظهر أمريْن: الأول، هو الترابط الفائق بين الإيمان المسيحي والماضي، الواضح في العلاقة بين العهد الجديد والعهد القديم، ومن ثمّ التكامل بين ذاك الترابط مع العناية الإلهيّة للخالق في عالم الحقائق الفعّالة والأحداث وكذلك مع تحقيق القصد الإلهي في الخلق والتاريخ.

الأمر الثاني: هو طبيعة البرهان الذي يواجه الإيمان في كلّ هذا، فنحن أنفسنا نقابل الحقائق والأحداث في دراستنا للأسفار المُقدّسة وفي خبرتنا الشخصيّة، حيث إنها قوّة ملزمة للإيمان بحقيقة اللّه نفسه الواضحة بذاتها. وإلى جانب النقاط السابقة بشأن فهم يوستين للأسفار المُقدّسة وتفسيره لها،

---

[13] *Dialogue*, 7.2.
[14] *Apology*1.30; see also, 1.53.1.

يوجد المُحدّد الرئيسي لكلّ ما سبق وهو أنّ كلمة الله جاء إلينا، كشخص مولود من الآب، الذي يستمر متكلّمًا إلينا في الأسفار المقدسة. وفي هذا يقول يوستين: "إنه اللوغوس، لأنه يحمل التواصل بين الآب والناس، وأيضًا بسبب أن له القدرة بحيث لا ينقسم ولا ينفصل عن الآب".[١٥]

وهكذا في كلّ ما قاله يوستين في حواره مع تريفو بشأن طريقة فهم الأسفار المُقدّسة وكذلك ترابطها الداخلي، فقد كان يطلب أن يجابه تريفو وذلك بالكلمة (اللوغوس) من خلال الأسفار المُقدّسة وكذلك الحقائق ذاتها التي تتضمّن البراهين والقوانين داخلها.[١٦]

ذلك هو عمل المُفسِّر للأسفار المقدسة، كما يرى يوستين، أي الشخص المهتم بتقديم الأخبار السارة من الله للناس مستخرجًا إياها من الأسفار الإلهيّة، وبهذه الطريقة يقتنع الناس بالحقّ ويؤمنون به وبسلطانه.

النقاط الرئيسيّة لطريقة يوستين في تفسير الأسفار المقدّسة:

القارئ لكتابات يوستين يلمح أربعة نقاط رئيسة بشأن طريقته لفهم وتفسير الأسفار المقدّسة، وهي كما يلي:

١- يجب أن تُفهم وتُفسّر الأسفار المقدّسة كأُطُر أو نماذج للشهادة، حيث تفيد وتوضّح وتُعلِن وتشير إلى وتتنبّأ بالأشياء، وكذلك تتقابل مع الحقّ، لذا يستعمل يوستين كثيرًا الألفاظ مثل: $\kappa\alpha\tau\alpha\gamma\gamma\epsilon\lambda\acute{\iota}\alpha$, $\pi\rho\circ\alpha\gamma\gamma\epsilon\lambda\acute{\iota}\alpha$, $\sigma\eta\mu\epsilon\hat{\iota}\circ\nu$, $\sigma\acute{\upsilon}\mu\beta\circ\lambda\circ\nu$, $\pi\rho\circ\delta\acute{\eta}\lambda\omega\sigma\iota\varsigma$, $\sigma\eta\mu\alpha\acute{\iota}\nu\omega$,[١٧]

وهذه الألفاظ التي يستعملها يوستين، تظهر أن الأسفار المقدّسة توجّهنا إلى البرهان وتجبرنا به، حيث يوجد في نطاقها الخاص، البرهان الملموس للوقائع التي تشهد لها. وحينما ننظر بهذه الطريقة للأسفار المقدّسة، أي إلى كلٍّ من

---

[15] *Dialogue*, 128.2f; cf. 95.1
[16] *Dialogue*, 28.2.
[17] C.f. W.A. Shotwell, *The Biblical Exegesis of Justin Martyr*, London, 1965, pp. 14ff.

الأشياء المقولة والأحداث التي تشير إليها، حينئذ نأتي إلى الإيمان والفهم الصحيح.

يستعمل يوستين الرمز كعلامة ظاهرة لأحداث في مجرى التاريخ، على عكس فيلو، الفيلسوف اليهودي السكندري، الذي يستعمل الرمز كرمز شعري لبعض الوقائع فوق الحسيّة.[١٨]

٢. العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ وما لها من أهميّة خاصّة ـ تميل هكذا إلى أن تركّز على العناصر النبويّة في الشهادة الكتابيّة. وهنا حيث ندخل إلى الترابط الداخلي للحقائق والأحداث والكلمات داخل الأسفار المُقدّسة، وننال معرفة عن البدايات والنهايات، وذلك ما يجب أن نفهمه لو إننا ممسكون فعلاً بمعنى الأسفار المقدّسة.[١٩]

وهنا ينشأ تساؤلاً، لماذا لا تُفهم تلك النبوات إلاّ حين تتم الأحداث المُتنبّأ عنها. الباحث في كتابات يوستين يرى إجابته على هذا التساؤل إذ يرى أنه يجب أن نكون بأنفسنا ضمن هذه الأحداث بصورة تجريبيّة في الحاضر قبل أن نستطيع أن نفهمها، وأيضًا نحن مرتبطين مع الحقائق التي يؤكّد عليها بثباتٍ، لهذا فقد صارت محتجبة المعنى بسبب غلاظة قلوب الناس.[٢٠]

وغلاظة قلوب اليهود هي التي جعلتهم يفصلون العنصر الأخلاقي للتعليم في العهد القديم عن العنصر النبوي الذي يشير إلى المسيح.[٢١]

لهذا نرى أنّ التعليم الكتابي كثيرًا ما يصاغ في شكل أمثال وأسرار[٢٢] وهنا نتذكّر كلمات الربّ يسوع في تفسيره لمثل الزارع في إنجيل متى؛ «مِنْ أَجْلِ هذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال، لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ، وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ ... لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْب قَدْ غَلُظَ، وَآذَانُهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا

[18] *Apology*, 1.32.5.
[19] *Dialogue*, 7.2.
[20] *Dialogue*, 27.4.
[21] *Dialogue* 44.2; 45.3.
[22] *Dialogue* 52.1; 68.6

فَأَشْفِيَهُمْ» (مت١٣: ١٣ ـ ١٥). لا يشير يوستين إلى معرفة خاصة أو خفيّة تُعطى فقط إلى القلّة، ولكنه يشير إلى سرٍّ واضح، ويجب أن يكون معروف ويمكن للكلِّ معرفته، فقد أُعلِنَ وكُرِزَ بالإنجيل بوضوح، وليس شيئًا في الإنجيل لا يتّضح مع الدراسة المتأنية والفهم الصحيح.

٣. المفاتيح الهامة لفهم الأسفار المُقدّسة تكمن في الوعي بالتمييز بين العهدين والمجيئين. العهد الأول أي العهد القديم يشير إلى الناموس القديم بما فيه من الختان والاغتسال والمتهوّدين الملازمين لتاريخ شعب بني إسرائيل. لكن يوجد عهد آخر، العهد الجديد والأبدي، بما فيه من المعموديّة، والذي قد دُشن في المسيح يسوع الذي أضاء لكل الذين يأتون إليه، وهؤلاء يمثلون إسرائيل الجديد.[٢٣] وما هو هذا العهد الإلهي سوى المسيح نفسه[٢٤]. *τίς ἡ διαθήκη τοῦ Θεοῦ; οὐχ ὁ Χριστός*

وبنفس الطريقة يجب أن نُميّز بين المجيء الأوّل للمسيح، الذي فيه جاء إلينا وقد أخلى ذاته، آخذًا شكل العبد، متألّمًا مصلوبًا واهبًا الغفران والخلاص لنا؛ والمجيء الثاني، وفيه يأتي المسيح مرّة أخرى ولكن في مجدٍ وقوةٍ عظيمين ليدين المسكونة ويُجدّد الخليقة.[٢٥]

وذلك التمييز بين العهدين والمجيئين، يمثل محورًا هامًا عند يوستين، به يوضِّح المرجعيّة الصحيحة للعبارات الكتابيّة المختلفة، لكي في ضوء هذه المرجعيّة يكون القصد والمعنَى واضحًا وصحيحًا.

الحقيقة بأنّ العهد القديم يحمل داخله الوعود بالعهد الجديد ويشير إليه مسبقًا؛ تلك الحقيقة تتضمّن أيضًا أن عبارات العهد القديم لها معنى مزدوج، فبالإضافة إلى معانيها الواضحة المباشرة، لها أيضًا معنى مخفي ونبوي، الذي يُستعلَن فقط في ضوء العهد الجديد. بينما داخل العهد الجديد، وفي وجودنا الحاضر في زمنٍ بين المجيئَيْن، يجب أن نميّز الإشارة المباشرة وكذلك العبارات

---

[23] *Dialogue*, 2.4; 24.1; 67.9.
[24] *Dialogue*, 123.5.
[25] *Apology*, 1.52.3; *Dialogue*, 14.7;31.1.

الخاصّة بتدبير التجسُّد وآلام المسيح، وكذلك نتطلّع إلى الإشارة الخاصة بالمجيء الثاني في المجد.[٢٦]

يعطي يوستين أهميّة خاصة للإشارة إلى تدبير الخلاص وكذلك الأحداث المخلِّصة داخل العهد الجديد المُدشّن بواسطة التجسد وأيضًا آلام الرب وإخلائِه لذاته وذلك تبعًا لمشيئة الآب. [٢٧]

وبهذا المعنى فتدبير οἰκονομία التجسد هو سر الخلاص[٢٨] *σωτήριον τοῦτο μυστήριον*

٤. التداخل بين العهدين؛ القديم والجديد ، وبين حالتي الاستعلان (المجيئَيْن) *παρουσία*، بمعنى أنّ الحق كثيرًا ما يُقدّم في شكل أمثال أو نماذج أو رموز، حيث تشير العبارات مسبقًا للأحداث الجديدة والأخرى.[٢٩]

والقارئ لكتابات يوستين يلاحظ تفسيره الرمزي بل وحتى الأخلاقي للأسفار المقدّسة، ولكنه بعيدًا تمامًا عن التفسير أو الفهم المجازي أو الاستعاري Allegorical interpretation الذي يعتمد على افتراض وجود الفصل الجذري بين العالم المادي والعالم العقلي، ولكن يوستين لا يفكّر بهذه الطريقة المجازيّة، فبالرغم من الرموز التي كثيرًا ما يُقدّمها، فهي ذات جذور تاريخيّة ومحدّدة.

استعمال الرمز في التفسير عند آباء الكنيسة الأولى:

إن دراسة علم الرموز Typology شيء هام في طريقة تفسير الأسفار المقدّسة في الكنيسة الأولى، ولا يجب أن يلتبس علم الرموز مع المجازيّة Allegory، حيث إن ذلك يعكس الترابط العميق بين الإنجيل والعهد القديم، وأيضًا يمثل أداة هامة للكنيسة في جهادها ضد محاولات الغنوسيين

---

[26] *Dialogue*, 51.2.
[27] *Dialogue*, 30.3; 45.4;87.5;103.3;120.1.
[28] *Dialogue*,74.3.
[29] Cf. *Apology* 1.60.3; *Dialogue*, 49.1;42.4;52.1.

والماركونيين ليفصلوا الكنيسة عن مصادرها التاريخية وأساسها في اكتمال المكان والزمان بأعمال الله الخالق والفادي.[٣٠]

إنّ استخدام الآباء للطريقة الرمزيّة في التفسير Patristic Typology له جذور في تاريخ العهد القديم وفلسطين واليهوديّة. وتكمن أهميّته داخل العلاقة غير المنقسمة بين الكلمة والحدث والصور التي تتضمّنه، وقد نشأ من خلال استعمال أشكال العبادة والطقوس، لتشير مسبقاً إلى التقنين والاكتمال في الأحداث الحاسمة داخل تاريخ شعب الله في العهد القديم.

وقد تحقّقت وعود وتنبؤات العهد القديم في ميلاد يسوع المسيح من العذراء وحياته وموته وقيامته في العهد الجديد وبهذا التحقيق أمكن فهم وتفسير تاريخ شعب الله في القديم، بني إسرائيل، على أنه تاريخ ما قبل التجسد، ونرى كيف أن تفاصيل وأشكال حياة بني إسرائيل واضحة من خلال الأحداث العظيمة في تاريخها القديم، ومنعكسة في عبادة، وتشمل الكثير من الجهاد والمعاناة، مُدوّنة ومفهومة بواسطة الأنبياء ولكنها تلتقي وتصل لغايتها عند حقيقة الربّ يسوع المسيح.

ومثل هذه الطريقة في التفسير والفهم للعهد القديم التي تُظهِر أهميّة عمل الله وتدبيره في كلّ من العهد القديم وما تتضمّنه من تاريخ شعب الله في القديم، والعهد الجديد وفيها التجسُّد والفداء وهما بمثابة تحقيق للقصد الإلهي الخلاصي الواحد. ذلك التفسير كان يُعدُّ ضروريًّا منذ بداية حياة الكنيسة، حيث إنها تستوعب إعلان العهد القديم مع إعلان العهد الجديد، وأيضًا تحفظ وحدة وعقيدة الإيمان بالله وتدبيره الإلهي الخلاصي الواحد.

ومن الجدير بالذكر أن هذه النقطة السابقة مؤكّدة بشدّة عند القديس إيريناؤس أسقف ليون، الذي يخبرنا أنها تمثل أساس التكوين الأصلي للكنيسة، وكذلك الإطار الأساسي للعقيدة.[٣١]

---

30 *Apology*,1.26;56;58; *Dialogue*,35;120.
31 *Adv.haer*. 4.33.1- 15;36.1-8.

لقد نشأ ونما التفسير الرمزي للأسفار المقدسة، ليوضّح التوافق والترابط بين العهد القديم والعهد الجديد، وليؤكّد على وحدة التدبير الإلهي في الخلق والفداء (انظر: ١كو١٠، ورسالة القديس بولس للعبرانيين).

رؤية ميليتوس أسقف ساردس لتفسير الأسفار المقدّسة:

في عظة لميليتوس أسقف سادرس عن الألم Εἰς Τό Πάθος وقد اكتشفها العالِم بونر Bonner، وهي تُعدُّ مثالاً واضحًا عن التفسير الرمزي واستعمال الرموز. إنها تتحدّث عن آلام ربّنا يسوع المسيح. إن الكلمات التي يستهل بها ميليتوس العظة تجعلنا نعتقد أنها عظة في ليتورجيا بعد قراءة من العهد القديم، وموضوع العظة يناسب أسبوع الآلام حتى إن العالِم بونر أسماها "عظة الجمعة العظيمة"، حيث يظهر عمل الله في الفداء، والمرموز إليه في العهد القديم والمُحقّق في العهد الجديد.

حيث تروي العظة قصة خروج بني إسرائيل من أرض مصر، خاصةً تأسيس الفصح، ثم يشرح ميليتوس الفصح والخروج على أنهما صارا رمزًا لموت الربّ يسوع المسيح وقيامته، وإن آلام المسيح وموته يُؤمّنان للمسيحي هروبه من الخطيّة والموت تمامًا كما أمّن خروف الفصح خروج وهروب العبرانيين من مصر، وإن المسيحيين قد خُتموا كعلامة على خلاصهم مثل العبرانيين وقد وَضعوا من دم خروف الفصح على قوائم أبواب منازلهم.[٣٢]

ففي العهد القديم قد رأينا الرمز τύπος ولكن في العهد الجديد قد قبلنا الحقيقة ἀλήθεια.

الفرق بين الرمز والحقيقة ليس مثل الفرق بين المادّي والعقلي أو بين الظاهري والشيء في ذاته، لكنه الفرق بين عمل الله التمهيدي (الإعدادي) في التاريخ وعمله النهائي الذي تحقق بالتجسد والكفارة الذي خلاله كل الأشياء قد تغيرت وقد أتت نحو اكتمالها.

---

[٣٢] القديس يوستين والآباء المدافعون، مرجع سابق ص ١١٥، ١١٦.

فما قد حدث في العهد القديم كان بمثابة مَثَل عملي Acted parable وعمل تمهيدي ضمن خطة وتدبير الله للخلاص، وهنا نتذكّر كلمات ربنا يسوع المسيح المدوّنة في إنجيل القديس متى؛ «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال» (مت١٢: ٤٠)

هذا المفهوم نراه واضحًا في نص لميليتوس من العظة عن الألم فيقول: "... حين يتم تصميم شيء آخر يخرج منه في المستقبل أعظم في الأهمية وأشد في القوة وأجمل في التكوين وغني بالزخرفة ويمكن رؤيته من خلال تصميم صغير بائد. ولكن حين يتم طباعة الأشياء، يتم التخلص من المادة المستخدمة في تلك الطباعة حيث إنها أصبحت شيئًا عديم النفع، وحيث إن صورة الحقيقة قد تنحت، حيث إن الشيء نفسه قد صار ظاهراً (واقعاً) بطبيعته. ما كان ذا قيمة قد تجرّد من قيمته عندما أصبح الشيء القيم بطبيعته ظاهراً (واقعاً). فكل شيء له لحظته الخاصة. فهناك وقت مناسب للطباعة (التصميم) وآخر مناسب للمادة. فتصنع لكل شيء واقعي، القالب الذي تريده، لترى فيه الصورة القادمة مكوّنة. فيتم تقديم المادة بشق طريق خلال القالب ـ وذلك ما تريده ـ حتى يمر فيه الشيء الذي سوف يتكوّن وبهذا يتم تحقيق العمل بالشكل الذي تحبه لتجد فيه الشكل والحقيقة. وهكذا فكما يكون بالطرق القابلة للفساد، كذلك بالطرق غير القابلة للفساد، وكما بالطرق الأرضيّة كذلك بالطرق السماويّة. لأن الخلاص وحقيقة (تجسُّد) الرب قد انطبعت مسبقًا في الشعب (في العهد القديم؛ انظر: ١كو١٠)، وتعليم الإنجيل قد أُعلن سابقًا بالناموس ومن ثم أصبح الشعب بمثابة الرسم المتوقّع للكنيسة والناموس بمثابة مَثَل مدوّن، ولكن الإنجيل صار شرحًا واكتمالاً للناموس، والكنيسة صارت خزانة الحق ἀποθήκη τῆς ἀληθείας فالقالب (الرمز) كان ذا قيمة قبل الشيء الحقيقي، والمَثَل كان مثير للاعجاب قبل تفسيره، فقد كان الشعب ذا فخر قبل ظهور الكنيسة، والناموس كان مثيرًا للإعجاب قبل انطلاق نور الإنجيل. ولكن من وقت ظهور الكنيسة وانطلاق نور الإنجيل خارجًا على شعوب الأرض، أصبح الرمز (القالب) فارغًا متخليًّا عن

صورته بظهور الحقّ بطبيعته، وتحقّقت الأمثال وأصبحت واضحة بسبب تفسيرها. وهكذا أيضًا اكتمل الناموس حين انطلق نور الإنجيل خارجًا وفقد الشعب (في العهد القديم) ثقله عند ظهور الكنيسة وتنحَّى الرمز جانبًا حين أصبح الرب ظاهرًا (معلنًا)".[٣٣]

القارئ لعظة ميليتوس السابقة، يلمح رؤيته في تفسير الأسفار المقدسة إذ كان ميليتوس مغمورًا في الرباط التاريخي بين شعب الله في العهد القديم وبين الكنيسة في العهد الجديد. فهو تفسير يُظهِر عمل الله الذي يُحضِر إعلانه التمهيدي في العهد القديم إلى الاكتمال والتحقيق في العهد الجديد في حقيقة التجسُّد والفداء. لذا الرمزيّة هي التعرُّف والتعبير، في كلماتٍ، عن الفهم لما قد حدث في تجسُّد ربنا يسوع المسيح، حيث فيه قد أُعلِنَ سِرَّ الله للبشريّة، وأُعلنت أيضًا أعماله الخلاصيّة.

وهذا التفسير قد نما بسرعة في الكنيسة الأولى بالترابط مع الأسرار الكنسيّة وظهر في الليتورجيا (انظر صلوات القسمة في خميس العهد)، حيث إن المعموديّة والإفخارستيا قد حلاّ محل طقوس الختان والفصح الخاص بالعهد القديم، وأصبح كلٌّ من المعمودية والإفخارستيا نقاطًا محوريّة في الكنيسة الأولى، حيث قد أُعيد فهم وتفسير نماذج العهد القديم ومواضيعه الرئيسة داخل إطار مسيحي، خاصةً في مواجهة الهجمات من جانب اليهوديّة.

وقد واجهت الكنيسة الأولى مشكلة الغنوسيين، إذ حوّل الغنوسيون الرسالة المسيحيّة إلى أساطير فلسفيّة عالية التحلُّق، وتأملاتهم في ذلك تعمل داخل إطار يهاجم الطبيعة الحقيقيّة للمسيحيّة وأساسها التاريخي بشأن تجسُّد ابن الله. وقد حاربت الكنيسة هذه الهرطقة وقدّمت شرحًا ثابتًا صحيحًا للأسفار المُقدّسة على خلفيّة صحيحة للإيمان المسيحي إذ أن التجسد هو محور رئيس للعقيدة المسيحية.

---

[33] Melito, *Peri Pascha* 6.4-7.4.

وبذلك نكون قد تحدثنا في مقالنا هذا عن رؤية كلٍّ من يوستين الشهيد وميليتوس أسقف ساردس حول تفسير الأسفار المقدسة، وفي الجزء الثاني من المقال في العدد القادم، سنتناول، إن شاء الرب، رؤية القديس إيريناؤس أسقف ليون في تفسير الأسفار المقدّسة.

يتبع